

التجديد والتحديث

بحث مقدم من
الدكتور الشيخ عكرمة صبري
خطيب المسجد الأقصى المبارك
رئيس الهيئة الإسلامية العليا

إلى

المؤتمر العام التاسع عشر
للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
المنعقد في القاهرة – جمهورية مصر العربية

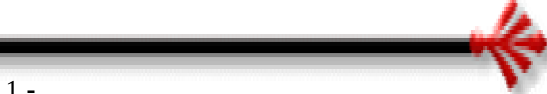
في الفترة من 8–11 ربيع الأول 1428هـ

وفق 27–30مارس (آذار) 2007م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة





الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد الأمين وعلى آله الطاهرين المبجلين وصحابته الغر الميامين ومن تبعهم وخطا دربهم واستن سنتهم واقتفى أثرهم بإحسان إلى يوم الدين.... أما بعد -:

فإن ديننا الإسلامي العظيم لا يزال يواجه في هذه الأيام تحديات كبيرة كبر المؤامرات التي تحاك ضده من قبل الشرق والغرب .

ومن هذه التحديات :

1- التشكيك في صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان .
2- التشكيك في قدرة الإسلام على مواكبة التقدم الحضاري وتطور الحياة .
3- توجيه التهم الباطلة الظالمة بأن الإسلام دين تخلف وتزمت وإرهاب .

وسنجيب على هذه التحديات من خلال تناولنا لموضوع التجديد والتحديث، في سبعة محاور.

فإن أصبت فذلك بتوفيق الله ورعايته، وإن أخطأت فذلك شيمة الإنسان وفوق كل ذي علم عليم .

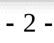
إنه نعم المولى ونعم النصير

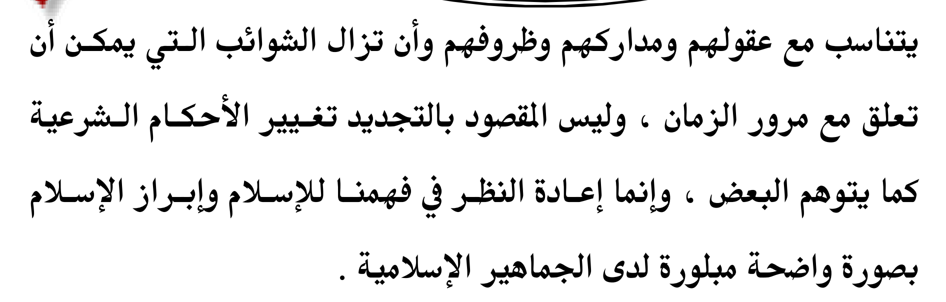
الدكتور الشيخ عكرمة سعيد صبري

المحور الأول

مفهوم كل من التجديد والتحديث

1- **التجديد** : هو إعادة فهم الإسلام من جديد ، وعرضه للناس عرضاً مشرقاً





يتناسب مع عقولهم ومداركهم وظروفهم وأن تزال الشوائب التي يمكن أن تعلق مع مرور الزمان ، وليس المقصود بالتجديد تغيير الأحكام الشرعية كما يتوهم البعض ، وإنما إعادة النظر في فهمنا للإسلام وإبراز الإسلام بصورة واضحة مبلورة لدى الجماهير الإسلامية .

2- **التحديث** : هو التعرض للأمور المستحدثة في حياتنا العملية ، وبيان حكم الإسلام فيها . فإذا وافقت هذه الأمور القواعد الإسلامية فإنها تكون مشروعة، وما لم توافق فإنها تكون غير مشروعة لقول الرسول r (مَنْ أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ)[1].وفي رواية لمسلم (مَنْ عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ). أي أن كل أمر مستحدث وليس له سند شرعي من كتاب الله وسنة رسوله فإنه يكون مردوداً ويعد مرفوضاً .

وإذا أردنا إيجاد حلول للمسائل المستجدة في المجتمع علينا الرجوع إلى الأصول الشرعية من كتاب الله وسنة رسوله لاستنباط الأحكام الشرعية منها. فالشريعة الإسلامية قادرة على معالجة المسائل المستجدة بفضل الاجتهاد الذي يضفي عليها الحيوية المستمرة والذي يعتمد على المصدرين الأساسين (الكتاب والسنة).

ويلاحظ بأن المدلولين يكمل أحدهما الآخر في الشريعة الإسلامية ، فلا تضارب ولا تناقض بينهما .

المحور الثاني
مشروعية التجديد والتحديث

1- **مشروعية التجديد :**



لقد خاض عدد من العلماء والباحثين في موضوع التجديد في الإسلام ، وهو أمر مشروع ومرغوب فيه ، وذلك لأن مرور الزمان قد يؤدي إلى الانحراف في الفهم السليم للإسلام كما أن كثرة المسلمين من مختلف الأقطار والقوميات والأعراق واللغات قد توجد فيهم من يتصور الإسلام تصوراً خاطئاً وبخاصة أن عدد المسلمين في هذه الأيام قد تجاوز مليار ونصف المليار مسلم . بالإضافة إلى أن أعداء الإسلام يتعمّدون تشويه صورة الإسلام والطعن والغمز فيه، لذا يقول رسولنا الأكرم r في مجال التجديد (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة مَنْ يجدد لها دينها) وفي رواية (. . . مَنْ يجدد لها أمر دينها)[2] فهذا الحديث النبوي الشريف يعطينا الأمل والتفاؤل بأن المسلمين إذا انتابتهم نكسات أو مرت بهم محن ومصائب وشدائد فلا بد وأن يظهر فيهم علماء ومجددون يأخذون بيد أمتهم إلى جادة الصواب وإلى شاطئ السلامة ، وأن هذا الحديث النبوي الشريف يلزم المسلمين بإعادة النظر في قدراتهم وفي فهمهم للإسلام، كما يشير هذا الحديث الشريف إلى أن الأمة الإسلامية معرضة للانحراف عن جادة الصواب ، فهي بحاجة إلى تجديد .

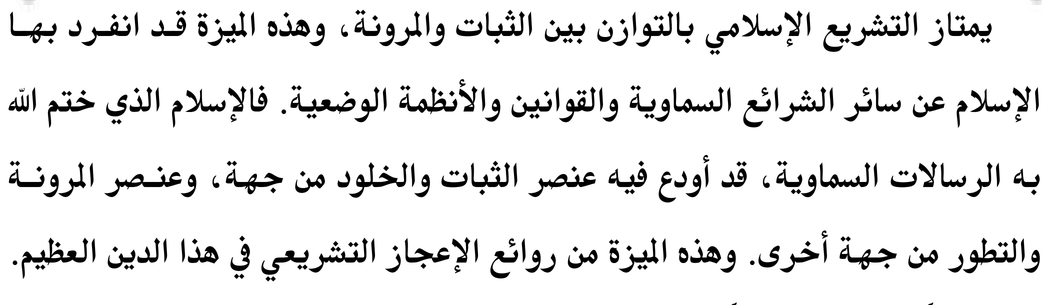
2- مشروعية التحديث :

روى الصحابي الجليل معاذ بن جبل t أن رسول الله t لما بعثه إلى اليمن قاضياً قال له (كيف تصنع إذا عرض عليك قضاء ؟ قال: أقضي بما في كتاب الله. قال: فإن لم يكن في كتاب الله ؟ قال: فبسنة رسوله r . قال : فإن لم يكن في سنة رسوله ؟ قال: أجتهد برأيي ولا آلو. قال: فضرب رسول الله r صدري ثم قال: الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله لما يرضي رسول الله)[3].ومعنى (لا آلو): لا أقصر في بذل الجهد. لذا عرف الفقهاء الاجتهاد بأنه بذل الجهد في استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية[4].

المحور الثالث

مميزات التشريع الإسلامي





يمتاز التشريع الإسلامي بالتوازن بين الثبات والمرونة، وهذه الميزة قد انفرد بها الإسلام عن سائر الشرائع السماوية والقوانين والأنظمة الوضعية. فالإسلام الذي ختم الله به الرسالات السماوية، قد أودع فيه عنصر الثبات والخلود من جهة، وعنصر المرونة والتطور من جهة أخرى. وهذه الميزة من روائع الإعجاز التشريعي في هذا الدين العظيم.

كما أنه يمتاز بما يأتي :

1- العمومية : أي أن الإسلام ليس للعرب وحدهم بل لجميع الشعوب بمختلف القوميات والأجناس والأعراق .

2- الشمولية : أي أن الإسلام لا يتناول جانباً واحداً من حياة الإنسان فحسب بل يتناول جميع الجوانب الحياتية والمجتمعية .

3- الاستمرارية : أي أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان ، وليس لوقت محدد أو لفترة معينة .

فلو افترضنا أن الإسلام قد انصف بالثبات فقط لأدى إلى الجمود والعجز عن حل مشاكل الناس المستجدة والمستحدثة عبر الأجيال والقرون. ولأدى أيضاً إلى الوقوف في وجه الحركات العلمية والاكتشافات الجديدة.

ولو افترضنا أن الإسلام قد اتصف بالمرونة فقط لوقع في التغيير الدائم للقوانين وأدى إلى الفوضى والانفلات والمزاجية وعدم الانضباطية في المجتمع. وعليه فإن الإسلام يتصف بالثبات والمرونة معاً: إنه الثبات على الأصول والكليات وعلى الأهداف والغايات. أما المرونة فتتمثل في الاجتهاد في الفروع والجزئيات وفي الشؤون الدنيوية والعمليات وفي الظنيات وليس القطعيات [5].

المحور الرابع

أقسام التشريع الإسلامي



يقسم التشريع الإسلامي من حيث الثبات والمرونة إلى قسمين:

1- **القسم الأول:** وهو عبارة عن مبادئ عامة تشمل قواعد عريضة للحياة، وتشمل أصولاً كلية تحدد الهيكل العام للمجتمع، ومجال هذه القواعد والأصول هي العقيدة وأركان الإيمان والأخلاق وأركان الإسلام، وذلك لتتسم الشريعة الإسلامية بالديمومة والاستقرار والثبات، بحيث لا تقبل أي تغيير أو تبديل، فلا بد من التقيّد بالنصوص الشرعية بشأنها، ولا مجال للاجتهاد في مورد النص.

2- **القسم الثاني:** يشمل الفروع والجزئيات التفصيلية والأمور المستجدة والمستحدثة التي يتعذر حصرها ومعرفة عددها لكثرتها. فتتعلق بها الأحكام الشرعية القابلة للتغيير حسب الظروف والأحوال والعلل والأسباب، وذلك من خلال الاجتهاد الذي يشمل: الإجماع والقياس والمصادر التشريعية الفرعية الأخرى كالاستحسان والمصالح المرسلة والعرف. وبفضل الاجتهاد أصبح الفقه الإسلامي بحراً زاخراً من العلوم والمعارف، ويضم بين دفتيه الموسوعات التي عجزت عن مجاراتها سائر القوانين والثقافات الأخرى في العالم[6].

المحور الخامس

لمحة عن الاجتهاد



أ – تعريفه:

(لغة): بذل الجهد فيما فيه مشقة.

(اصطلاحاً): بذل الجهد في استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية.

ب – أنواع الاجتهاد :

1– اجتهاد بياني: وهو يتعلق بفهم وشرح وتحليل النص المبحوث فيه.

2– اجتهاد قياسي: وهو يتعلق بتحديد العلة الموجبة للحكم. وكما هو معلوم بأن الاجتهاد القياسي فيه بذل للجهد أكثر من الاجتهاد البياني[7].

ج – حكم الاجتهاد :

1– فرض عين بحق كل مسؤول عن حادثة وقعت، وخاف فوتُها. أو وقعت له شخصياً وكانت له ملكة الاجتهاد ولم يوجد غيره في هذا المجال.

2– فرض كفاية بشأن حادثة وقعت ويوجد عدد من المجتهدين يمكن الرجوع إليهم. فإن قام بالاجتهاد واحد منهم سقط الطلب عن الباقين، وإلا أثم جميع القادرين على الاجتهاد لعدم إبداء رأيهم في هذه الحادثة.

3– مندوب (سنة) بالنظر إلى حوادث لم تقع بعد، ويتم الاجتهاد بها لتكون الإجابات جاهزة حين السؤال عنها وقت وقوعها [8].

د – من أهم شروط الاجتهاد:

1– أن يكون عدلاً أي لم يرتكب كبيرة ولم يصر على صغيرة.

2– أن يكون محيطاً بمقاصد الشريعة، وأن يتمكن من النظر في الأدلة الشرعية.

3– معرفته وإلمامه باللغة العربية (نحواً أو صرفاً).

4– التمكن من علم أصول الفقه [9].

هـ: مهمة المجتهد :

تنحصر مهمة المجتهد في إظهار حكم الله في شؤون الناس بالاعتماد على الأدلة الشرعية. ولا يُعد المجتهد مشرعاً إذ المشرع هو الله عز وجل وحده (إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ



لله)(10).

و – ما يجوز الاجتهاد فيه وما لا يجوز:

ليست الأحكام الشرعية العملية كلها تصلح لأن تكون محلاً للاجتهاد لذا قال علماء أصول الفقه :

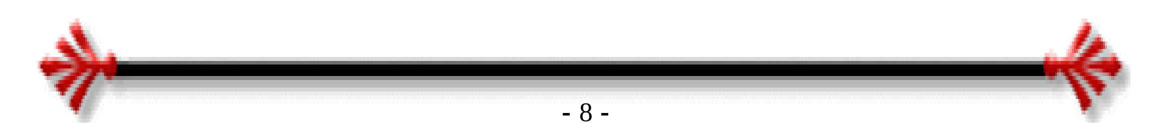
إن المسائل التي يجتهد فيها هي المسائل التي ليس لها دليل قطعي. وعليه فلا يجوز الاجتهاد في أمر ثابت بدليل قطعي من الكتاب والسنة المتواترة كفرضية الصلاة والصيام والزكاة والحج. ووجوب الصدق والوفاء وطاعة الوالدين، وحرمة الزنا والسرقة والربا وعقوق الوالدين والقمار وشرب الخمر والغيبة والنميمة والنفاق والفجور في الخصومة فهذه كلها قد ثبتت بأدلة قطعية الثبوت وقطعية الدلالة.

أما القضايا المستحدثة والتي لم يرد فيها نص شرعي فيكون فيها مجال للاجتهاد، في كل زمان. حتى غدا الفقه الإسلامي بفضل الاجتهاد بحراً زاخراً من العلوم والمعارف، ويضم بين دفتيه الموسوعات التي عجزت عن مجاراتها سائر القوانين والثقافات الأخرى في العالم (11).

المحور السادس

العلوم التطبيقية والتحديث

يتوهم البعض من الناس بأن العلوم التطبيقية والتكنولوجيا الحديثة تدعو للإلحاد



وعدم الإيمان، ويظنون بأن لا لقاء بين العلم والإيمان. وهذه العقدة مستوردة من أوروبا التي شهدت صراعاً مريراً في القرون الوسطى بين رجال الكنيسة ورواد الفكر الإصلاحي، وقتئذ، ولا علاقة للإسلام بهذا الصراع، وليس المسلمون طرفاً فيه.

فديننا الإسلامي العظيم لا يعادي العلم، ولا يقف في وجه العلماء ولا يصدر بحقهم صكوك حرمان بل يدعو للعلم ويشجع العلماء على مختلف تخصصاتهم، ويكرمهم مادياً ومعنوياً, ويُعد تحصيل العلوم فرض كفاية، فإذا لم تقم بها الأمة فهي آثمة ومسؤولة أمام الله عز وجل على تقصيرها.

لذا فإن دعوى الخلاف بين العلم والإيمان دعوى وهمية ليس لها دليل في ديننا وتاريخنا. بل ان العلم يقودنا إلى الإيمان ويزودنا بالأدلة المحسوسة على وجود الله سبحانه وتعالى. وقد حفل القرآن الكريم بمئات الآيات الكريمة التي تتناول الكون والأجرام السماوية والنجوم والشمس والقمر والأرض وغيرها، وتعرف بالآيات الكونية، هذه الآيات التي تدعو الإنسان للتفكير والنظر في إعمال العقل في عدة مجالات: في النفس، وفي الأرض وفي الشمس والقمر... وفي الكون كله ليصل الإنسان من خلاله إلى إثبات وجود الله رب العالمين والإيمان به وبقدرته المطلقة عن قناعة ووعي وإدراك.

كذلك حث الإسلام الإنسان على دراسة العلم والبحث والتنقيب للاستفادة مما خلق الله في هذا الكون.

ومن هذا المبدأ انطلق المسلمون في دراسة العلوم بمختلف فروعها، وانهم قدموا للإنسانية الكثير من الأبحاث والمكتشافات والمخترعات في مجال الرياضيات والكيمياء والأحياء والطب والصيدلة والفلك والجغرافيا، وبخاصة في العصر العباسي، حتى إن العالم الذي يؤلف كتاباً أو يترجم كتاباً من لغات أخرى إلى العربية كان هذا العالم يأخذ




ذهباً بوزن الكتاب الذي يؤلفه أو يترجمه.

وأصبح العلماء المسلمين أساتذة العالم ــ وقتئذ ــ وبرز منهم : ابن سينا والفارابي والكندي والرازي والبيروني وابن الهيثم وعباس بن فرناس والإدريسي وابن خلدون وجابر بن حيان والخوارزمي وغيرهم .

وكانت الجامعات الإسلامية في قرطبة وفي القيروان والفسطاط والقاهرة وفي دمشق وحلب وبغداد والكوفة والبصرة وفي بخارى وخوارزم وقزوين وغيرها. وكانت تعج بالأساتذة والطلاب من كل مكان.

وكانت هذه الجامعات تنشر العلم والثقافة في كل ناحية، وتقوم على حرية البحث والفكر والرأي والأمانة في الوصول إلى الحقيقة والموضوعية لخدمة الإنسانية، بينما كانت أوروبا تغط في دياجير الظلام وتعيش على الخرافات والأوهام.

ثم لا يخفى مدى استفادة الغرب من الجامعات الإسلامية في القرون الوسطى قبيل النهضة الأوروبية والثورة الصناعية حتى إن كثيراً من مفكري الغرب اعترفوا في أكثر من مناسبة أن العرب قد ابتكروا في مجال العلوم، ولهم الفضل في إيجاد الحركة الفكرية في أوروبا، فالمستشرق الفرنسي كوستاف لوبون يعلق على ذلك في كتابه (الحضارة العربية) بقوله (... لا يرى الباحث في مختلف مصنوعات العرب أية صلة ظاهرة بمصنوعات أية أمة أخرى, فالإبداع في مصنوعات العرب تام واضح، ولم تسبقهم أمة في قوة هذا الإبداع الفني).

ويقول المستشرق دي فو (إن الميراث الذي تركه اليونان لم يحسن الرومان القيام به. أما العرب فقد أتقنوا وعملوا على تحسينه وإتمامه حتى سلموه إلى العصر الحديث).

ويقول المستشرق نيكلسون (... وما المكتشفات اليوم لا تحسب شيئاً مذكوراً إزاء ما نحن مدينون به للروّاد العرب الذين كانوا مشعلاً وضاءً في القرون الوسطى الظلمة ولا

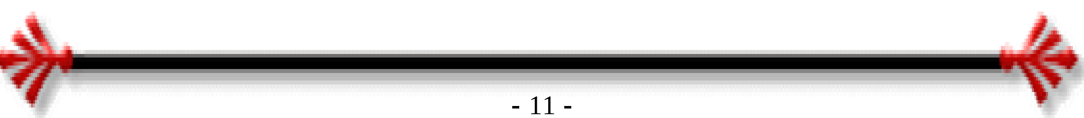
سيما في أوروبا...).

ويعتقد الدكتور سارطون بأن العرب كانوا أعظم معلمين في العالم، وأنهم زادوا على العلوم التي أخذوها، وأنهم لك يكتفوا بذلك بل أوصلوها إلى درجة جديرة بالاعتبار من حيث النمو والارتقاء [12].

المحور السابع

نماذج من العلوم الحديثة

يحسن في هذا المجال أن نشير إلى بعض النماذج العلمية الحديث باختصار ،



وموقف الإسلام منها :

1- شكل الأرض وحركتها:

أثبت العلم الحديث أن الأرض تشبه إلى حين (البيضة) وليست مستديرة تماماً، وذلك خلال النصف الثاني من القرن الماضي حينما خرج الإنسان من الأرض واستطاع أن يلتقط للأرض صوراً من الفضاء الخارجي. وقد سبق للقرآن الكريم أن أشار إلى شكل الأرض قبل خمسة عشر قرناً فيقول سبحانه وتعالى (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا)[13]. كما ثبت علمياً أن الأرض منبعجة عن القطبين الشمالي والجنوبي (أي ليست مدببة الطرفين) وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا)[14]. وفي آية كريمة أخرى (أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ)[15] . كما ثبت أن الأرض متحركة وتدور حول نفسها فيتعاقب الليل والنهار . وأنها تدور حول الشمس فتأتي الفصول الأربعة (الربيع والصيف والخريف والشتاء) وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله سبحانه وتعالى (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)[16]. وفي آية كريمة أخرى (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ)[17].

2- الصعود إلى القمر :

أثبت العلم الحديث ان القمر يدور حول الأرض كما يدور حول الشمس ويقتبس ضوءه منها ويعكس هذا الضوء على الأرض والله سبحانه وتعالى (وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً)[18]. هذا وقد تمكن الإنسان من الصعود إلى القمر والانفلات من الأرض، وهذا لا يناقض الإسلام ويتعارض مع القرآن الكريم، في حين توهّم بعض

المسلمين بأن الصعود إلى القمر فيه تحدٍ لإرادة الله عز وجل. والسبب في ذلك بأن هؤلاء المتوهمين يجهلون تفسير الآية الكريمة ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾[19] .

فالله رب العالمين يتحدى في هذه الآية الكريمة الجن والإنس بأن يخرجوا من السموات والأرض (أي من الكون كله) فتستحيل عليهم الاستطاعة من الخروج من الكون لأن الإنسان لا يستطيع الخروج من المحدودات إلى اللامحدودات.

بالإضافة إلى أن الكون نفسه يحوي البلايين من النجوم والكواكب حتى أن علماء الفلك يقولون: إن عدد نجوم السماء يصعب حصرها مثل عدد ذرات الرمال الموجودة على سواحل البحار في الدنيا كلها ، منها ما هو أكبر بقليل من الأرض ، ولكن أكثرها كبير جداً حتى يمكن أن نضع في واحد منها ملايين النجوم مثل حجم الأرض التي نعيش عليها ! !ولكي نتصور حجم الكون فإننا نتخيّل مركبةً تسير بسرعة الضوء (186000) ميل في الثانية، وأن هذه المركبة تطوف بنا حول الكون وإنها تستغرق (1000000000)سنة ! ! وهذا أمر يستحيل على الإنسان تنفيذه والقيام به. أما خروج الإنسان من الأرض إلى القمر فهو كمن يخرح من غرفة إلى أخرى في بيت واحد. فالصعود إلى القمر ليس خروجاً من الكون وإنما هو في إطار الكون. وليس في ذلك تحدٍ لإرادة الله العلي القدير فصعود الإنسان إلى القمر لا يتعارض مع إرادة الله عز وجل. أما المراد بلفظ (سلطان) فهو إرادة الله وقوته، أي أن الله قادر على إخراج الإنسان من الكون، كما تحققت المعجزة الإلهية بحادثة الإسراء والمعراج. فالخروج من الكون يكون بإرادة الله أي حين تكون هناك معجزة من المعجزات الإلهية الخارقة للعادة. ومن الخطأ أن نفسر لفظ (سلطان) بمعنى العقل أو العلم، لأن العقل محدود ويستحيل عليه أن يحيط بالكون. فكيف يستطيع العقل أن يُخرج الإنسان من الكون ؟! فالعلم يخضع

لنواميس الطبيعة وللقوانين البشرية. بينما تتعلق المعجزة بأمور خارقة للعادة، ولا تخضع لقوانين الطبيعة. فالعلم لا يتعلق بخروج الإنسان من الكون ويستحيل عليه ذلك، وإنما يكون إطاره في المحسوسات أي ضمن الكون فقط.

وعليه فإن الصعود إلى القمر على سبيل المثال ليس خروجاً من الكون وإنما هو ضمن الكون، ويمكن القول أن الانتقال من الأرض إلى القمر هو أمر مشروع وهو ضمن إرادة الإنسان، ولم يقم العلم بأمر خارق للعادة إنما هو ضمن القوانين الطبيعية البشرية.

3- طفل الأنابيب:

يجب أن نقرر _ بادئ ذي بدء _ أن الحياة في الخلية (الحيوانية أو النباتية) منوطة بقدرة الله سبحانه وتعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[20] . لذا فإنه يستحيل على الإنسان أن يوجد الحياة أو أن يخلقها. هذا وقد سبق لعلماء الأحياء (الحيوان والنبات) ان توصلوا إلة معرفة أجزاء ومكوّنات الخلية وتركيبها. ولكن أنى للإنسان أن يوجد الحياة في هذه الأجزاء. لذا قال علماء الأحياء في تعريفهم للحياة بأنها سر من أسرار الكون. إلا أنه يمكن للإنسان جمع عدة أجزاء حيوية ويركبها معاً. فلا غرابة في ذلك لأن الحياة موجودة فيها أصلاً، وأن خصائص الأجسام الحيوية متوفرة مسبقاً قبل البدء بالعمليات المخبرية والكيماوية. فالعبرة فيمن أوجد هذه الخصائص الأولى في الأجسام المتناهية الصغر ألا وهو الله العلي القدير وحده ﴿إِنَّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾[21] . وعليه فإن أصل الحياة في الخلايا هي من الله رب العالمين. فطفل الأنابيب عبارة عن إخصاب بويضة المرأة بالحيوان المنوي للرجل في الأنبوب المخبري الذي يتوفر فيه جو مناسب من درجات الحرارة مع بعض المواد الكيماوية المشابهة للمواد الموجودة في رحم المرأة. ثم تُعاد البويضة المخصبة إلى رحم

المرأة لتمكث مدة الحمل.

فالإنجاز العلمي الذي قام به الأطباء والمخبريون يتمثّل في عملية الإخصاب (من بويضة حية مع حيوان منوي حي، والقدرة على إعادة البويضة المخصبة إلى رحم الأم). وبالرغم من أن هذا الغنجاز يعتبر تقدماً علمياً إلا أنه لا يعد خلقاً ولا إيجاداً للإنسان، لأسباب كثيرة، منها:

1- يستحيل على الإنسان أن يوجد خلية واحدة ذكرية أو أنثوية (حيوان منوي أو بوضة).

2- إن الحياة الموجودة في الخلية هي من خلق وإيجاد الله رب العالمين. وقد اعترف بذلك جميع علماء الأحياء سابقاً ولاحقاً.

3- بعد الإخصاب (بين الحيوان المنوي والبويضة) تمكث البويضة المخصبة مدة الحمل في رحم المرأة وليس خارجه. لأن الجنين لا يستطيع أن يعيش خارج الرحم لحظات، وإذا سقط الجنين أو أسقط من رحم المرأة فإنه يتعذر بل يستحيل إعادته إلى الرحم.

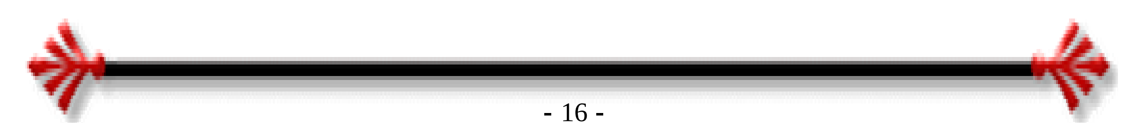
ومن المؤسف أن العامة من الناس يتوهمون بأن طفل الأنابيب يمكث تسعة أشهر في الأنبوب !! والصحيح بأن البويضة بعد إخصابها تنقل مباشرة إلى الرحم لتمكث فيه المدة المعلومة التي يحتاجها الجنين (وهي تسعة أشهر في غالب الأحيان).

وما من شك أن فكرة طفل الأنابيب قد حلّت قضايا اجتماعية وعائلية وأسرية وإنسانية للتعويض عن الإنجاب الطبيعي مما كان له الأثر الإيجابي في توطيد العلاقات الزوجية، وهي فكرة لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية شريطة أن يكون الحيوان المنوي من الزوج لا من رجل آخر، وأن تكون البيوضة من زوجته لا من امرأة أخرى، والله تعالى أعلم.

وهذا وان الأمثلة على الانجازات العلمية سابقاً ولاحقاً، والـتي يقرّهـا الإسـلام، لا حصر لها وهي جميعها تؤكد على أن الإسلام قد حثّ على العلم، وأن العلم لا يتعارض مع الإسلام، بل هما خطان متوازيان لأن الإسلام قد أقرّ المنهج العلمي الذي تبلور علمياً في أبحاث ابن سينا والرازي وابن هيثم وجابر بن حيان وغيرهم، ويقوم المـنهج العلمـي على الاحتكام للعقل واستعمال الحواس للتدليل على صحة التجربة (أي منهج يجمـع بين التجربة والعقل) فقد تقدّم المسلمون خطوات ماردة في البحث العلمي واستفادوا من الانجازات العلمية في حياتهم العمليـة بالإضـافة إلى أن العلـوم شـاهدة علـى وجـود الله سبحانه وتعالى وعلى وحدانيته وعلى قدرته المطلقة.

الخاتمة

هذا استعراض سريع لكل من التجدي والتحديث مدعم بالأدلة الـشرعية وبالوقـائع العملية للتأكيد على خلود هذا الدين الإسلامي العظيم بثباته ومرونته وصـلاحيته لكـل زمـان ومكـان، وانـه قـادر علـى حـل المـشاكل العـصرية المتعاقبـة، وقـادر علـى هـضم



واستيعاب كلّ ما هو جديد ونـافع ضـمن دائـرة الاجتهـاد بمـا يـسعد البـشرية ويخـدم الإنسانية في الدنيا والآخرة.

فحري بالمسلمين أن يفخروا ويعتزوا بدينهم وأن يلتفوا حوله ويلتزموا بأحكامه وأن يدافعوا عنه.

وحري بغير المسلمين أن يتفهموا الإسلام على حقيقته قبل إعطاء رأيهم فيه لئلا يظلموه فيكيلوا التهم ضده ويطلقوا الشبهات حوله زوراً وبهتانا (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ)[22].

والحمد لله رب العالمين

الهوامش:

[1] متفق عليه عن الصحابي الجليل معاذ بن جبل t .

[2] رواه البخاري ومسلم عن أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما .

[3] متفق عليه عن الصحابي الجليل معاذ بن جبل t .

[4] كتاب (المدخل إلى علم أصول الفقه) للدكتور معروف الدواليبي ص**36** . وكتاب (تاريخ الفقه

الإسلامي) للشيخ محم\ علي السايس ص**31** . وكتاب (الوجيز في أصول الفقه) للدكتور عبد الكريم زيدان ص**357** .

[5] كتاب (تاريخ الفقه الإسلامي) ص**30**ص**31** والخصائص العامة للإسلام للدكتور يوسف القرضاوي ص**205**. وكتاب (الخلاف الفقهي – دراسة في المفهوم والأسباب والآداب) للدكتور أحمد بن محمد البوشيخي ص**43** .

[6] كتاب (أعلام الموقعين) لابن قيم الجوزي ج**1**ص**72** و(المدخل إلى علم أصول الفقه) الدكتور معروف الدواليبي ص**71** و (أصول الفقه) للأستاذ بدر متولي عبد الباسط ص**9** و (خلاصة التشريع الإسلامي) للشيخ عبد الوهاب خلاف ص**28** .

[7] المدخل إلى علم أصول الفقه للدكتور معروف الدواليبي ص**75** وكتاب الخلاف الفقهي – دراسة في المفهوم والأسباب والآداب ص**55**وص**56**.

[8] الوجيز في أصول الفقه للدكتور عبد الكريم زيدان ص**358** وكتاب الخلاف الفقهي – دراسة في المفهوم والأسباب والآداب ص**62** .

[9] الوجيز في أصول الفقه للدكتور عبد الكريم زيدان ص**358** وكتاب الخلاف الفقهي – دراسة في المفهوم والأسباب والآداب ص**62** .

[10] سورة الأنعام الآية (**57**) .

[11] الوجيز في أصول الفقه للدكتور عبد الكريم زيدان ص**362** .

[12] العلوم عند العرب والمسلمين للأستاذ قدري طوقان ص**10** و ص**11** ومجموعة أبحاث في الحضارة العربية الإسلامية للدكتور أحمد شوكت الشطي ص**94**،ص**95**،ص**124**،ص**125** والمدخل في تاريخ الحضارة العربية للأستاذ ناجي معروف ص**81** والتمريض في التاريخ الإسلامي لصاحب البحث ص**25**-ص**27** .

[13] سورة النازعات الآية(**30**) .

[14] سورة الرعد الآية (**43**) .

[15] سورة الأنبياء الآية (**44**) .

[16] سورة يس الآية (**40**) .

[17] سورة النمل الآية (**88**) .

[18] سورة نوح الآية (**16**) .

[19] سورة الرحمن الآية (**33**) .

[20] سورة الإسراء الآية (**85**) .

[21] سورة الأنعام الآية (**95**) .

[22] سورة الرعد الآية (**19**) .

المصادر والمراجع :

اسم الكتاب	المؤلف	مكان الطبع

1- القرآن الكريم .		
2- تفسير الكشاف .	الزمخشري	القاهرة
3- تفسير القرآن العظيم .	اسماعيل بن كثير	القاهرة
4- التفسير الكبير .	محمد الرازي	القاهرة
5- الطب النبوي .	الحافظ الذهبي	القاهرة
6- الطب النبوي .	ابن قيم الجوزية	بيروت
7- مشكاة المصابيح .	الخطيب التبريزي	دمشق
8- الإكمال في أسماء الرجال .	الخطيب التبريزي	دمشق
9- الطبقات الكبير (طبقات ابن سعد) .	ابن سعد	القاهرة
10- إعلام الموقعين .	ابن قيم الجوزية	القاهرة
11- التشريع الإسلامي .	السايس والسبكي والبربري	القاهرة
12- أصول الفقه .	محمد أبو زهرة	القاهرة
13- محاضرات أصول الفقه .	محمد مصطفى شلبي	بيروت
14- أصول الفقه الإسلامي .	د. زكريا البري	القاهرة
15- محاضرات في أصول الفقه .	د. بدر متولي عبد الباسط	بغداد
16- مناهج الاجتهاد في الإسلام .	د. محمد سلام مدكور	الكويت
17- المدخل الفقهي العام .	مصطفى الزرقا	دمشق
18- المدخل في علم أصول الفقه .	د. معروف الدواليبي	دمشق
19- الوجيز في أصول الفقه .	د. عبد الكريم زيدان	بغداد
20- الخلاف الفقهي _دراسة في المفهوم والأسباب والآداب .	د. أحمد بن محمد البوشيخي	المغرب
21- الله والعلم الحديث .	عبد الرزاق نوفل	القاهرة
22- عظمة الرسول .	محمد عطية الأبراشي	القاهرة
23- مجموعة أبحاث في الحضارة العربية الإسلامية .	د. أحمد شوكت الشطي	دمشق
24- المدخل في تاريخ الحضارة العربية .	ناجي معروف	بغداد
25- تاريخ العرب والمسلمين .	عبد الرحيم مرعب ومحمد حسين	القدس
26- تاريخ الحضارة العربية الإسلامية .	سعيد درة ورفقاه	القدس
27- العلوم عند العرب والمسلمين .	قدري حافظ طوف	القدس
28- الأدلة العقلية على إعجاز القرآن .	د. عكرمة صبري	القدس
29- العلم طريق الإيمان .	د. عكرمة صبري	القدس





